ومضـــات فكريـــة

كلمات على متن رسالة الأستاذ الرخاوي

تعقيب على مقالة " سوء إستعمال العلوم النفسية" للأستاذ الرخاوي

www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiThoughtFlashes.pdf

د. صـــــادق السامرائـــــي *

أمريكـــــا - العـــــراق

alrahwan@yahoo.com

الـزملاء الأعزاء

تقديري ومحبتي

هذه كلمات من وحي التفاعل الإنساني النبيل مع الأستاذ الرخاوي, أثرها على متن رسالته الثرية بالأفكار الرامية للإمساك بجوهر كنه المعجزة , التي انطلقت بأحسن تقويم ساعيةً فوق أديم البطحاء السرمدية الدوران بتقدير وحسبان.

تقبلوا خالص المودة والإحترام

د. صادق السامرائي

كلمـــات علـــى متـــن رسالـــة الأستـــاذ الرخـــاوي

أمـــة الأنـــوار

كلماتك تبعث الأمل والرجاء , وتعلن أن القوة في الحوار, وأن الأمة تمر بأدوار.

فما عجزت ولا خابت ولا انهزمت أو إنكسرت, وإنما كمنت واختمرت ونضجت, فأطلقت ما فيها, نبضا إنسانيا حضاريا ثوريا أصيلا.

وشعشعت أنوار دورها الجديد من تونس الرائدة وتألقت في مصر الباسلة.

ولا زالت الأيام واعدة, والآفاق تشتاق لمزيد من التوهج والسطوع العربي الفياض.

كلماتك تبعث الأمل والرجاء ، وتعلن أن القوة في الحوار، وأن الأمة تمر بأدوار. فما عجزت ولا

مقالتـــك

أمامي على مكتبي , وقد قرأتها , وأجبت عليها بتركيز وتكثيف لأنها تعالج موضوعا حصل قبل عقود, واجتزأت منها فكرة سوء إستعمال العلوم. وسأتواصل معها ثانية بأسلوب آخر, وبودي أن أتفاعل مع دفق الأفكار المنيرة التي تتناولها في

كتاباتك المشرقة, التي تأخذني نحو الأعمق البعيد.
حواراتنا تمنحني شعورا دافئا بعروبتي, وتؤكد في أعماقي الإحساس الصادق بالإنتماء, وتؤكد أن الأمة بخير ما دامت عقولها تتفاعل.
هذه الحوارات تستحضر الأفكار الأصيلة اللازمة لصيرورة فاضلة راشدة تأخذنا إلى مدارات التحقق الواعي المعاصر.

نقـــــرأ أو لا نقـــــرأ

عندما نقرأ نتعلم, وعندما نتعلم نعلم, وحالما نعلم نقف إزاء محنة حضارية عنوانها كيف نعمل بما نعلم, ومعضلة وجودنا تكمن في التخاصم ما بين العلم والعمل.
هذا هو جوهر العلة الحضارية التي أوجدت عللا نداويها بعلل.
فأمتنا أمة حضارية عالمة أعجزناها عن العمل بما تعلم.
ولذلك نميل إلى الهروب من الواقع بنكرانه وتسويغه والبحث عن موضوعات لا تمت بصلة إليه, فنحن في معظم ما نقوم به لا نتصدى للواقع, بما فيه من مشاكل تستدعي حلا, وإنما نغادره إلى واقع آخر يعيش فينا ولا يعرفه واقعنا.
وهذا السلوك السلبي يكاد يتجسد في جميع أروقة الحياة وأنظمتها السياسية والإجتماعية والثقافية وغيرها.

حـــــوار يتناقـــــص أم ينقـــــرض؟

الحوار سلوك إجتماعي حضاري ترعاه المجتمعات المتقدمة التي تؤمن بالإنسان وبقدراته ودوره الفعال في النماء والرقاء, وعندما يفقد الإنسان قيمته, يضيع الحوار وينتفي دوره في البناء وإنضاج الأفكار الحيوية اللازمة لغدٍ أفضل.
التحاور حالة غريبة عن سلوك أبناء الأمة, ولا توجد في تاريخنا المعاصر حوارات ثقافية تعطي المثل الإيجابي النافع لجدوى الحوار ما بين أبناء الأمة.
ذلك أن النظام السلوكي الذي خيم على مسيرة الأجيال هو نظام أبوي فردي إستبدادي , تمثل في أقسى صوره بأنظمتنا السياسية على مدى القرن العشرين.
ولهذا فلا زلنا نتهيب من الحوار ونحسبه نوع من التعادي أو العدوان, كما أننا بعيدين عن وعي ثقافة الإختلاف ودورها وضرورتها في بناء الحضارة وإطلاق الأفكار الفعالة اللازمة للقوة والنماء.
وما يراه الغربيون عنا, ينبع من ذلك, فيحسبون أن الإستبداد حالة قائمة في أعماق السلوك الفردي العربي, وأن المجتمع يصنع مستبديه وطغاته, فهلا أثبتنا لهم العكس؟
فما رأينا مثلا واحدا لحوارات حضارية في إجتماعات القمم العربية, وإنما خطابات أبوية يأباها الصدى, وهذا يعكس بوضوح حقيقة معضلتنا.
فهل نحن أمة تعادي الحوار, وتجنح إلى العمل بفكرة "وما إجتمعت بأذوادٍ فحول"

خابت ولا انهزمت أو إنكسرت، وإنما كمنت واختمرت ونضجت، فأطلقت ما فيها، نبضا إنسانيا حضاريا ثوريا أصيلا

حواراتنا تمنحني شعورا دافئا بعروبتي، وتؤكد في أعماقي الإحساس الصادق بالإنتماء، وتؤكد أن الأمة بخير ما دامت عقولها تتفاعل.

وتنادي " سبق السيف العذل", فالرأي عندنا يقترن بالسيف, ومعارضة الرأي تعني القتال والمنازلة الدامية.

عندما نقرأ نتعلم، وعندما نتعلم نعلم، وحالما نعلم نقف إزاء محنة حضارية عنوانها كيف نعمل بما نعلم، ومعضلة وجودنا تكمن في التخاصم ما بين العلم والعمل

كيـــف نفكـــــر؟

ما ألاحظه في المجتمع الغربي, أنّ تربية الأجيال ذات آليات مبصرة معاصرة ومتجددة. ويتركز الإهتمام على تعلم كيفيات صب الأفكار في كلمات, فالكلمة لا بد لها أن تكون ذات إسهام واضح في صياغة الفكرة والعبارة.

وتجدهم يركزون على كيف تفكر وتكون مؤهلا لتصنيع الفكرة وتحويلها إلى مشروع مؤثر في مسيرة الحياة.

وكذلك كيف تقرأ, وتحاور وتتفاعل مع الإختلاف وتستثمر طاقاته للبناء والتقدم. فلا يوجد كلام مبهم.

وفي مجتمعنا نميل إلى عدم الوضوح, وقد هيمنت على تفكيرنا آلية " المعنى في قلب الشاعر", والتي أراها تصف عجزنا التام على وضع الأفكار في كلمات, فالشعر له دور في بناء تصورنا وتفكيرنا, والشعر الجيد, حسب ما نراه, هو الذي لا يعرف مقاصده إلا كاتبه, والحقيقة المريرة, أن كاتبه قد عجز عن وضع أفكاره في كلماته, فأشاع الوهم بأن ما يكتبه فن بمواصفات رمزية وتعبيرات بلاغية عصية على الوضوح السهل, وكم تقصدت أن أكتب نصوصا مباشرة ذات تعبير صريح عن الفكرة , فيغضب منها النقاد ويحسبون ذلك إمعانا في المباشرة.

وكم قرأت شرحا أو نقدا لقصائد, فأرى المكتوب لا يتصل بالقصيدة وإنما تخيلات وتوصيفات من وحي المعنى في قلب الشاعر. وهذا إبداع إنحرافي وليس إبداعا صادقا خالصا أصيلا يساهم في بناء عقل الأمة ووعي الأجيال, وإنما هو أداة تشويه تفكير وتشويش وعي.

أمتنا أمة حضارية عالمة أعجزناها عن العمل بما تعلم.

فالمسافة شاسعة ما بين آليات تفكيرنا وآليات تفكير العالم المتقدم, وهذه المسافة تنعكس في تداعيات التواصل ما بين العالمين.

لديّ صديق صيني يمزح معي عندما يدور الحديث عن بلادي, فيقول لي ضاحكا " إعطونا بلادكم لمدة خمسة أعوام فقط" , وعندما زرت الصين أدركت أن صديقي على صواب!

ذات عام, كنت في لقاء ضم عدد من الأخصائيين النفسيين العرب والأمريكان, وبعد أن دار الحديث في موضوعات متنوعة, صعقت بما قالته إحدى الزميلات الأمريكيات.

قالت " كأنكم أعداء بعضكم"!!؟

وأضافت " ولهذا لن تحققوا شيئا مهما"

وكنا في الإجتماع زملاء وأصدقاء, وما عندنا ما ذكرته, لكننا من خلال أسلوب تفاعلنا أوحينا بذلك.

وعندما تأملت بواعث قولها, تبين لي أن طريقة الطرح والنقاش كانت تؤكد ما ذهبت إليه, بما لا يقبل الشك للعقل الآخر, بأننا أعداء أو لا نعرف كيف نتفق ونستثمر في المشتركات, ونميل إلى تعزيز مسوغات العجز والإفتراق.
ذلك أننا لانملك مهارات الحوار وقدرات وضع الفكرة في كلمات.
ونتعامل بعقل منفعل لا فاعل.
فقد برزت الإنفعالات وعجزت الكلمات عن التعبير عن الأفكار.
وهذا سلوك يوحي بأننا لسنا على مايرام, وفقا للذي يرانا بعقله ومنظار تفكيره.
وهذا معوق سلوكي وبائي مستوطن في مجتمعنا ويصيب الجميع بأضرار مزمنة.

نميل إلى الهروب من الواقع بنكرانه وتسويغه والبحث عن موضوعات لا تمت بصلة إليه

نحن في معظم ما نقوم به لا نتصدى للواقع، بما فيه من مشاكل تستدعي حلا، وإنما نغادره إلى واقع آخر يعيش فينا ولا يعرفه واقعنا.

تعقيب على مقالة " سوء إستعمال العلوم النفسية" للأستاذ الرخاوي

أصل الحكاية

المصالح تقتضي
والنفط يقتضي
والأمن الأمن
وما أدراك ما يعنيه
ويرمي إليه
ثلاثية الحكاية
التي ما كتب عنها نجيب محفوظ

الصداقة

ما نسميه صداقة في عرفهم سذاجة
فالمصلحة دستور السلوك
وعقيدة الحوار
والغاب هو القانون الأصدق

اللغة

علامتنا المميزة الفارقة
وهويتنا وجوهر وجودنا
ووعاء مسيرتنا الساطعة
ولكي ننطفيئ
صادر لغتنا

عندما يفقد الإنسان قيمته، يضيع الحوار وينتفي دوره في البناء وإنضاج الأفكار الحيوية اللازمة لغدٍ أفضل.

النظام السلوكي الذي خيم على مسيرة الأجيال هو نظام أبوي فردي إستبدادي ، تمثل في أقسى صوره بأنظمتنا السياسية على مدى القرن العشرين

اللغة عروبة وحضارة وإسلام وفرقان
وآلة إنسان
ولهذا فهي الهدف المطلوب
وربما سيلبسونها صفة تحلل وأدها
وسجنها في غياهب النسيان!؟

التمثيـــــل

أن تجيد مهارات الأخذ
وخداع العطاء
فقد أخذوا وأخذوا
وما وضعنا على موائدنا إلا السراب
فكيف خدعونا بالعطاء
وقد أخذوا منا كل شيئ؟

التفـــــاوض

كلمة خرافية تمكنت من وعي الأمة
فكيف لمن لا يملك مصيره أن يتفاوض
وكيف لأمة بلا شعب أن تفاوض أمة بشعب؟
الأمة وضِعت في زنزانة أفراد
يستعينون بالآخرين على الشعب
فما معنى التفاوض في صندوق غياب؟!

التحذيـــــر

الأمة لا ينفعها التحذير
لأنها لا تقرأ
ولا تسمع إلا ما تفهمه
وما تفهمه هو ثقافة الآخر
وبهذا فأنها تسمعه وتطرب له
وتتبذ إبنها الذي يصرخ فيها ويناديها
فكيف تحذر إنسانا منوما
في صالة عمليات الإفتراس الحضاري المريح
والممتع حتى الإدمان؟

أننا بعيدين عن وعي ثقافة الإختلاف ودورها وضرورتها في بناء الحضارة وإطلاق الأفكار الفعالة اللازمة للقوة والنماء.

التعصـــــب

هل تعصّبنا لعروبتنا ودِيننا وأمتنا
ومصالحنا الوطنية والإنسانية
هل تعصّبنا لوجودنا وحقوقنا وكرامتنا
هل تعصّبنا للتكافل والتراحم والتفاعل
والألفة والأخوة والمعروف
هل تعصّبنا للزراعة والصناعة والبناء؟
لقد تعاصبنا وما تعصّبنا أبدا
وتغاضبنا وما غضبنا يوما
فأين الضمير الحي الرهيف؟
التعصب سلوك إيجابي بقائي
عندما نعي منافعه ونتوقى من أضراره!

شعـــــارات

هل توجد أمة رفعت شعارات أكثر منا
أعظم إنجازاتنا شعاراتنا
وما حققنا إلا ما يناقضها تماما
فاسأل الوحدة والحرية
إذا كنت في شك وظن

الشعر الجيد، حسب ما نراه، هو الذي لا يعرف مقاصده إلا كاتبه، والحقيقة المريرة، أن كاتبه قد عجز عن وضع أفكاره في كلماته، فأشاع الوهم بأن ما يكتبه فن بمواصفات رمزية وتعبيرات بلاغية عصية على الوضوح السهل

الآن... الآن

الآن عدونا
فالماضي هو رفيقنا
وما أثقله
وما أقساه
لأننا أمعنا في جهله
وأصبحنا غرباء عنه
لكننا ندعيه
وما حققنا إلا ما يعاديه

الحـــوار معهـــم

مغامرة خطيرة يربحونها دوما
فما يعرفونه يفوق ما نعرفه

فالمعرفة سلاح أمضى من أي سلاح
وأسس وآليات الحوار التي يدركونها
لا زالت في رفوف ما لا نعلم ولا ندري
وما علينا إلا أن نبتكر أدواتنا
وآلاتنا الحوارية التي تحقق مصالحنا
فالعقل العربي غير العقل الغربي
وما نراه لا يمكنهم رؤيته
وما يرونه يصعب علينا استجلاءه
يحاورونا بترسانة عقول نابهة جامعة
ونحاورهم بعقل فريد
يحمل شارة الأمية وسيف أدري!

أتشكونـــــي

فتقديري وإعجابي وحبّي
وإن سكنت فقد هتفت بقلبي
وشكرا حينما عتبٌ أتاني
أتيتكَ واعدا وبها ألبّي
سأبقى في حواراتٍ تنامت
بأفكارٍ جلتْ نظر المربي
جمال التركِ تشكوني إليهِ
سأشكو منك إنْ فَترَتْ وربّي!

وإنّ العقـــل فـــي نفـــسٍ تماهـــى

أمِنْ عَجبٍ ومن غضبٍ ولسْبِ
أتت ريَبا وكم جرحَت بغصْبِ
نفوسٌ ذات إعصارٍ ورعدٍ
هي الأيام في حَذرٍ وُرعْبِ
فمرْحى كلما كتبت يراعٌ
ألا جادت بإبداعٍ كصَيْبِ
مواجعنا من الجهل استفاقت
ألا تبّتْ بما فعلتْ بشعبي
هي النفس التي فيها أسانا

أننا لانملك مهارات الحوار وقدرات وضع الفكرة في كلمات.

ونتعامل بعقل منفعل لا فاعل.

فقد برزت الإنفعالات وعجزت الكلمات عن التعبير عن الأفكار.

فالعقل العربي غير العقل الغربي

وما نراه لا يمكنهم رؤيته

وما يرونه يصعب علينا استجلاءه

يحاورونا بترسانة عقول نابهة جامحة

ونحاورهم بعقل فريد يحمل شارة الأمية وسيف أدرك!

فهلْ برءَتْ بتوجيهٍ وطبِّ
وإنّ العقل في نفسٍ تماهى
إذا رغِبتْ بدا عبدا يُلبّي
وآمِرةٌ بسوءٍ بعد سوءٍ
إذا ضبحت دحت شرقا بغربِ
فهل بَقيَت مساجرها أجيجا
فما انطفأت , كما جنحت لغيبِ
كفى أدبا وتأديبا ونهراً
رأيت لهيبَها نهجا لعُطْبِ
معللتي بسوءٍ كيف أنجو
فذا طينٌ أتى طينا كذئبِ
وما عسرت على طينٍ مناهُ
رموز الطين ما بَعُدتْ كصُحبِ
فقل نفسا وما ندري هواها
وعاء سلوكها يبدو كجُبِّ
فغامر في متاهاتٍ تناءت
كأكوانٍ تواصلها بثقبِ
ومَن سوّى بمعجزةٍ طواها
بكافٍ ذات نوناتٍ وحَجْبِ
تعالى خالقٌ وسمى بعرشٍ
وذا المخلوق في صَدعٍ ورأبِ
وما نفس إذا جهرت بنفسٍ
ولكن طبعها أبدا لتربِ
فخاصم نهجها وادعو سواها
وجافيها إذا جنحت لكذب
تخادعنا بنا , والعيب فينا
وكم رتقت لنا عيبا بعيبِ
دليل نفوسنا وهمٌ أصيلٌ
ومحجوبٌ بأطيافٍ ولجْبِ
فلا تكشف غطاءً دامَ حقاً
ولاتسعى إلى جزرٍ وقطبِ
ودعنا في مشاربها نعاني
كأنا من ثمالتها بركْبِ
أتُدريها بما خشيت وهابت

فذا فزعٌ على فزعٍ وأُهْبِ
حلاوتها إذا بُصِرَ التجلي
ستغدو من جحيمات وصُعْبِ
وما جهل وما علم سيبقى
معاشرها كأغصانٍ بخِصْبِ
إذا جاء الربيع زهت ومالت
وأعطت ما بحوزتها لعُصْبِ
وإن حلّ الخريف بها استغاثت
وراحت تشتكي فقدا لثوْبِ
فهل نكرت وما ذكرت ترابا
وهل سألت , عن الفحوى لحربِ
ألا هبطتْ إليك وما تدانت
وإن كشفت بها وجها تُخبّي
فحاور رأس صلصالٍ مكينٍ
وجالسْ طينةً رُهِنَتْ بنكبِ
إذا تدري بما كسبت نفوسٌ
فدعها تنتشي والله حسبي

د. صادق السامرائي
2012\4\27
sadiq al-samarrai < alrahwan@yahoo.com >

"مراسلات الشبكة" على الفايس بوك
http://www.facebook.com/Arabpsynet

**** ****

الكتاب الذهبي للشبكة

للأطباء النفسانيين
http://www.arabpsynet.com/propsitions/ConsPsyGoldBook.asp

للأساتذة و اخصائيي العلوم النفسية
http://www.arabpsynet.com/propsitions/ConsGoldBook.asp

شارك برأيك لتطوير الموقع
form / نمـــوذج / formulaire
http://www.arabpsynet.com/propsitions/PropForm.htm

*** ***

بريد مراسلات الشبكة

http://www.arabpsynet.com/mailinglist/ConsMailingList.asp

أرسل بريدك
form / نمـــوذج / formulaire
http://www.arabpsynet.com/mailinglist/MailingListForm.htm